المحور التاسع : الحضارة الرومانية

1.أصل التسمية ونشأة روما: في الأسطورة ترجع تسمية روما إلى التوأمين روموس وريملوس اللذان أرضعتهما ذئبة ولما بلغا اختلافا حول مكان بناء مدينة روما مما أدى برومولوس إلى قتل أخاه روموس واشتغل بعدها ببناء مدينة روما سنة 753 ق.م.[1]

الشكل رقم 26: تمثال من البرونز يجسد روموس وريملوس يرضعان الذئبة

المصدر: متحف كابوتوليني على الانترنت www.museicapitolini.org/it

ورغم أن قصة تأسيس روما ما هي إلا عبارة عن أسطورة تداولتها المصادر إلا أنها ممزوجة ببعض الحقائق التاريخية التي أدت إلى تأسيس روما ومن بينها كشف التنقيبات الأثرية أن بناء المدينة كان في القرن الثامن قبل الميلاد وأن تل بلاتينوس المذكور في الأسطورة شهد استقرار أولى الجماعات البشرية التي ساهمت في بناء الحضارة الرومانية .[2]

وقد نشأت روما على ضفاف نهر التيبر وفي سهل اللاتيوم ومحاطة بسبع تلال وهي ميزات استراتيجية جعل منها عاصمة لشبه الجزيرة الإيطالية ومن خلالها عاصمة لإمبراطوريتهاالواسعة .[3]

---

[1] مصطفى النشار، فن السيرة الذاتية في الفكر اليوناني، مجلة عالم الفكر، م43، ع2، 2014، ص، 16.

[2] ليث خليل خلف السلماني، الصراع الروماني –الفينيقي – عبر البحر المتوسط 264–146 ق.م، مجلة كلية التربية للبنات، الجامعة العراقية، ع4، 2016، ص، 446.

[3] نفسه، ص، 447.

2.مراحل الحكم في الحضارة الرومانية: مرت روما بعدة أنظمة حكم خلال تاريخها الممتد من نشأتها سنة 753 ق.م إلى سقوطها سنة 476م وذلك تماشيا مع توسعها حيث كانت عبارة عن قرية صغيرة في سهل اللاتيوم لتتحول إلى إمبراطورية كبيرة.

1.2 النظام الملكي: قبل ظهور النظام الملكي كان الرومان يعيشون في ظل النظام القبلي والذي يحدده طبيعة التواجد الكبير للقرى، وفي سنة 753 قبل الميلاد بدأت طبيعة النظام السياسي في روما تتضح بوجود ملك على رأس الهرم السياسي أسندت له السلطات السياسية والقضائية والعسكرية مع وجود مجلس الأحياء ومجلس الشيوخ يساعدون الملك في مهامه.[1]

وبالرغم من أن الملك لم يكن يحكم مدى الحياة إلا أن السلطات المطلقة التي كان يتمتع بها أدت إلى فشل هذا النظام بعد تذمر الطبقة الارستقراطية مما أدى إلى سقوط النظام الملكي عام 509 قبل الميلاد وتعويضه بالنظام الجمهوري.[2]

2.2 النظام الجمهوري : بمجرد سقوط الملكية استبدل الرومان مصطلح ملك بمصطلح نظام جمهوري فقد كان مصطلح الملك ممقوتا كما استبدلت وظيفة الملك بوظيفة القنصلان اللذان يحكمان روما لمدة سنة واحدة وبعد نهاية مهامها يصبحان مواطنان عاديان، أما القنصلان فقد كانا ينتخبان من طرف الجمعية المئوية وتجنبا لاستبداد أحد القنصلان على الآخر منح لهما حق اعتراض قنصل على قرارات القنصل الاخر إلا إذا كان القنصل الآخر في مهمة خارج روما فتصبح كل السلطات بيده .[3]

3.2 النظام الامبراطوري: بدأت ملامح النظام الامبراطوري تتضح في حوالي 30 قبل الميلاد حينما ضم أوكتافيوس مصر إلى أراضي الدولة الرومانية ويتميز النظام الامبراطوري بسلطة الحاكم الفرد الدكتاتور أو قائد الجيش ويبدو أن توسعات روما الكبيرة في العالم القديم

---

[1] إبراهيم أيوب، التاريخ الروماني، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، ط 1، 1996، ص، ص، 24، 25

[2] نفسه، ص، 25.

[3] محمود إبراهيم السعدني، حضارة الرومان منذ نشأتها وحتى القرن الأول الميلادي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 1997، ص، ص، 85، 86.

هي التي ساعدت قادة الجيش على التربع في عرش روما.[1] كما أنه من بين أسباب التحول من النظام الجمهوري إلى النظام الامبراطوري هو عدم صلاحية النظام الجمهوري لتحمل أعباء دولة مترامية الأطراف.[2] وينبغي الإشارة أن النظام الإمبراطوري كفكرة أسس لها يوليوس قيصر الذي خاض حرب طويلة مع مجلس الشيوخ بهدف اعطاءه صلاحيات واسعة تتماشى مع توسعات روما.[3]

الشكل رقم 27: خريطة الإمبراطورية الرومانية في أقصى توسعاتها

المصدر : https://www.marefa.org

[1] محمود إبراهيم السعدني، المرجع السابق، ص، 133.

[2] إبراهيم أيوب، المرجع السابق، ص، 200.

[3] نفسه، ص، 231.

3.القانون الروماني: من بين أهم ما خلف الرومان في الجانب الفكري القانون فهو يعبر عن مستوى راق من التحضر والتنظيم وقد عرف الرومان القانون منذ العصر الجمهوري ويتعلق الأمر بقانون اللوحات الاثني عشر وكانت قوانين مدنية.[1] وعرف القانون الروماني تطورا معتبرا خلال العصور اللاحقة ووصلت مدونة جوستنيان القانونية كمظهر من مظاهر تطور القانونوكان لهذه القوانين أثر كبير على القوانين الحالية.[2]

4.تكوين الإمبراطورية الرومانية: تحولت روما من مجرد قرية صغيرة تطل على نهر التيبر إلى إمبراطورية واسعة ضمت أغلب أراضي العالم القديم وقد مرت روما بمراحل حتى اكتملت صورة توسعاتها النهائية.

وانطلقت روما في مشروعها لتكوين الإمبراطورية بإخضاع أراضي وسكان شبه الجزيرة الإيطالية فأخضعت اللاتيوموالسمنتيوم وأراضي شمال وجنوب شبه جزيرة إيطاليا وأصبحت روما سيدة إيطاليا في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد.[3]

وبعد أن حققت روما سيادتها على شبه الجزيرة الإيطالية زاد طموحها الخارجي وظهرت كقوة جديدة في حوض البحر الأبيض المتوسط فدخلت في حرب طويلة مع قرطاج عبر ثلاث مراحل من 264 ق.م–146 ق.م انتهت بتدمير قرطاج وتحويلها إلى ولاية رومانية.[4]

---

[1] محمود إبراهيم السعدني، المرجع السابق، –ص، 190.

[2] نفسه، ص، 112.

[3] نفسه، ص ،ص، 89_91.

[4] نفسه، ص، ص، 93، 94.

5.سقوط الإمبراطورية الرومانية:خلال القرن الثالث الميلادي بدأت الأزمات تشتد في الإمبراطورية الرومانية منها ما هو سياسي ومنها ما هو اجتماعي فضلا عن الأزمات الاقتصادية، فمن الناحية السياسية نشب صراع بين الأباطرة ومجلس الشيوخ حول صلاحيات الحكم ومن الناحية الاقتصادية تدهورت أحوال الولايات التي كانت تمد روما بمختلف الغلال كما فرضت الإدارة الرومانية عليها ضرائب باهضة أدى إلى نعرات الاستقلال الذاتي من خلال العديد من الثورات.[1]

ولكن السبب المباشر في سقوط الإمبراطورية هو هجمات القبائل الجرمانية على شبه الجزيرة الإيطالية والتي أدت إلى انهاك الجيش الروماني وتدمير العاصمة روما سنة 476 م [2].

[1] عفاف سيد صبره، الامبراطوريتان الرومانية والبيزنطية زمن شارلمان، دار النهضة العربية، 1982، ص،ص، 8،9.

[2] جمال الدين فالح الكيلاني، في التاريخ الأوروبي الوسيط، مكتبة المصطفى، القاهرة، 2011، ص، 23.

المحور العاشر: الحضارة البيزنطية

1.نشأة الإمبراطورية البيزنطية: تعد الإمبراطورية البيزنطية امتداد للإمبراطورية الرومانية التي ضعفت وسقطت في الغرب لتبدأ انطلاقة جديدة في الشرق ويمكن اعتبار سنة 330 م بداية انطلاق بيزنطة بعد أن اكتمل بناء عاصمته الجديدة القسطنطينية في خرائب المدينة القديمة لتعوض روما الغربية القديمة ولكن إذا كانت روما مدينة أوروبية خالصة فإن موقع القسطنطينية موجود في نقطة تلاقي أوروبا وأسيا.[1]

وهكذا فإن تكوين الإمبراطورية البيزنطية لا يمثل إلا امتداد للإمبراطورية الرومانية وحتى تسمية بيزنطة اسم مستحدث فقد كانوا يسمون أنفسهم بالرومان واعتبر الحاكم في بيزنطة نفسه امبراطور روماني كما اعتبر البيزنطيين أنفسهم بأنهم ورثة ممتلكات الإمبراطورية الرومانية لذلك سعوا إلى استعادتها والسيطرة عليها،[2]وقد امتد نفوذ وقوة الإمبراطورية البيزنطية لحوالي ألف عام إلى غاية سقوطها على يد الأتراك العثمانيين خلال فتحهم لمدينة القسطنطينية في عام 1453 م.[3]

2.أهم الفوارق بين الإمبراطورية الشرقية والامبراطورية الغربية: صحيح أن الإمبراطورية البيزنطية التي نشأت في الشرق ما هي إلا امتداد للإمبراطورية الرومانية في الغرب إلا أن هناك فوارق كثيرة تميز بينهما يبدو أنه يرجع إلى امتداد البيزنطيين نحو الشرق والذي يؤدي بدوره إلى تغير في بعض الجوانب الحضارية، ولم يكن هناك أي اتصال أو ود بين القسمين الشرقي والغربي.[4]

---

[1] نزار الطرشان، التأريخ بالعصر البيزنطي أم التأريخ بالعصر الغساني في جنوب بلاد الشام، مجلة العصور، م13، ج1، 2003، ص،ص، 27،28.

[2]نفسه، ص، 29.

[3] ستفين رنسيمان، الحضارة البيزنطية، تر عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 2003، ص، 62.

[4] عفاف سيد صبره، المرجع السابق، ص، 19.

ومن الفوارق الواضحة بين القسمين أن الجزء الغربي ظل متأثرا بالحضارة الرومانية في حين أن القسم الشرقي جعل من الثقافة والحضارة الهلنستية منطلق أساسي له ويظهر ذلك بوضوح في استخدام اللغة اليونانية بالجزء الشرقي في حين ظل القسم الغربي محافظا على اللغة اللاتينية.[1]

وفي مجال الديانة المسيحية كان الفرق واضحا بين الجزء الشرقي والجزء الغربي فالجزء الشرقي اعتنق المذاهب الشرقية مثل الأريوسية ولكن القسم الغربي كان مناصرا قويا للمذهب الكاثوليكي.[2]

3.نظام الحكم والإدارة في الحضارة البيزنطية: إن استمرار الإمبراطورية البيزنطية لأكثر من ألف عام يدل على وجود نظام حكم وإدارة قوية ورغم حفاظه على بعض خصائص نظام الإمبراطورية الرومانية إلا أن خاصية المرونة والتطور حسب متطلبات كل مرحلة كانت موجودة، والامبراطور في الحضارة البيزنطية كان يحكم بشكل مطلق بحيث تتركز جميع السلطات في يده بما فيها قيادة الجيش ويعتبر أيضا رئيسا للكنيسة والقسيس الأعلى للإمبراطورية.[3]

ويبدو أن التأثير الشرقي لنظام الحكم في الدولة البيزنطية كان ظاهرا سواء من خلال الصلاحيات الواسعة التي تميز بها الحاكم أو بالصبغة الدينية التي صبغ بها البلاط البيزنطي فمراسيم تنصيب الإمبراطور الجديد كانت تتم في كنيسة القديسة صوفيا بحضور البابا وبموافقته.[4]

---

[1] عفاف سيد صبره، المرجع السابق، ص، 19.

[2] نفسه، ص، 21.

[3] ستفين رنسيمان ، المرجع السابق، ص، 63.

[4] عفاف سيد صبره، المرجع السابق، ص، 133.

ولتقسيم الوظائف وتخفيف الأعباء على الامبراطور أنشأ جهاز اداري قوي يضم وزراء وقادة جيش ومجلس السناتو وولاة وكتبة وعدد كبير من الموظفين في مجالات القضاء والمالية والخارجية والمزارع والضياع والمصانع.[1]

4.الجيش: تطلب وجود جيش قوي لإحكام السيطرة على مساحة الإمبراطورية البيزنطية المترامية الأطراف وكانت بيزنطة البلد الوحيد في العصور القديمة التي كانت فيها مدارس عسكرية تدرس فيها كل ما يتعلق بالفنون العسكرية وقد اهتم الأباطرة البيزنطين مند عهد دقلديانوس وقسطنطين ببناء جيش قوي وتدعيمه بالعتاد اللازم وقسم إلى عدة فرق.[2]

5.الجانب الديبلوماسي في الحضارة البيزنطية: امتلكت بيزنطة جهاز ديبلوماسي قوي هدفه الحفاظ على الجيش وعلى قوة الإمبراطورية من خلال حسن التفاوض مع الأعداء أو مع الأصدقاء، وكان الامبراطور على رأس الجهاز الديبلوماسي مع وجود موظفين يسهرون على سيره من بينهم المستشار الذي كان بمثابة وزير خارجية.[3]

كما أن مجاورة بيزنطة لشعوب وقبائل متنوعة استدعى تقوية الجهاز الديبلوماسي لمواجهة هذه الشعوب فاستحدثت مراسيم الاستقبال الامبراطوري وهي مراسيم معقدة وفيها بهرجة كبيرة حتى تجعل من هيبة الامبراطور والامبراطورية واقعا في نفوس الضيوف، كما اختارت بيزنطة سفراء بدقة حتى يمثلونها في الخارج وكان من الممكن لهؤلاء السفراء أن يحملوا كثير من الهدايا والهبات للملوك والحكام المقصودين فهي حكمة ديبلوماسية الغرض منها استمالة من يقصدونهم لخدمة ما.[4]

---

[1] ستفين رنسيمان ، المرجع السابق، ص، ص، ص، 88_.101

[2] نفسه، ص،ص، 158، .159

[3] نفسه، ص، .184

[4] خالد حمو حساني، أساليب الديبلوماسية البيزنطية في اخضاع الشعوب، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، م7، ع22، 2015ص، ص، 210، 212.

ومن الأساليب الديبلوماسية التي ابتكرها البيزنطيون الزواج السياسي من خلال اقدام بعض أباطرتهم على اختيار عرائس أجنبيات وذلك يضمن موالاة الشعوب التي وقع التزواج منها بولائهم لبيزنطة.[1]

[1] خالد حمو حساني، المرجع السابق، ص، 212.

خاتمة

الحضارة في مجملها تراكمات ومخلفات الانسان عبر العصور ومن خلال تعرفنا على أبرز إنجازات الحضارات القديمة اتضح بأنها بدأت في بناء البوتقة الحضارية للإنسان من جميع النواحي.

1. هناك عوامل كثيرة تساعد على قيام الحضارة في مقدمتها العامل الطبيعي والعامل البشري، فالحضارات الشرقية الأولى قامت على ضفاف الأنهار حيث توفر المياه والتربة الخصبة، ووجود انسان مفكر ومبدع استغل الإمكانيات المتوفرة ليحسن من مستوى حياته.
2. شمل التطور الحضاري للحضارات القديمة كل مجالات الحياة ومن خلالها تعرفنا على مظاهر حضاراتها في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني والفكري.
3. إن ابتكار الكتابة كان ثورة عظيمة في تاريخ الحضارة وفاصلا بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية كما حفظت الكثير من المعارف وتوارثت عبر العصور.
4. قامت الحضارة الفرعونية على ضفتي نهر النيل وشهدت تطور في مجال الزراعة والصناعة والتجارة وتم ابتكار الكتابة الهيروغليفية كما عرفت نظام اجتماعي وسياسي قائم على الطبقية والسيطرة لطبقة النبلاء، وفي مجال العمارة اشتهرت بالضخامة وبالهندسة المتميزة وازدهرت مختلف الآداب والعلوم.
5. أما حضارة بلاد الرافدين فلا تقل أهمية عن الحضارة الفرعونية وأهم ما ميزها هو تعايش شعوبها المختلفة والتشريعات القانونية المضبوطة وظهور المكتبات وتطور الجيش.
6. وعرفت التجارة تطورا كبيرا مع مجيء الفينيقيين فقد سافروا إلى مناطق بعيدة في العالم القديم واكتشفوا شعوب وأراضي جديدة في افريقيا وأوروبا وتمكنوا من فك العزلة